قـوادح الإيمـــان

تأليف

د / عيسى بن عبد الله السعدي

أستاذ عقيدة بجامعة الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

فالإيمان مدار سعادة الدنيا والآخرة ؛ فلابد أن يعرف المسلم حقيقته ، ولابد أن يعرف ما يقدح في أصله أو كماله ؛ لأن فضائل الإيمان وآثاره لا تحصل تامة لأهلها إلا بشرط السلامة من قوادح الإيمان ؛ ولهذا كانت محل اهتمام أهل العلم ، فكتبوا فيها كتابات كثيرة وجليلة ، إلا أن ضبطها قد يشق على القارئ العادي ؛ فرأيت أن أجمع أصولها ، وأختصر الكلام فيها من خلال المسائل التالية :-

١- معنى الإيمان وفضائله وآثاره .

٢- معنى الصغيرة وأهم أحكامها .

٣- معنى الكبيرة وأهم آثارها .

٤- معنى الكفر وأنواعه .

٥- معنى النفاق وأنواعه .

٦- معنى الشرك وأنواعه .

٧- معنى البدعة وأهم آثارها .

٨- عقوبات الذنوب القدرية .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

كتبـــــــــــه

د/ عيسى بن عبد الله السعدي

أستاذ عقيدة بجـــامعة الطائف

قوادح الإيمـــــان

معنى الإيمان

الإيمان لغة مشتق من التصديق أو الإقرار[١] . واصطلاحا يختلف معناه بحسب الإفراد والاقتران ؛ فإذا أفرد كان اسما للدين كله ؛ أصوله وفروعه ، ظاهره وباطنه ؛ وهو الذي عرفه السلف بقولهم : الإيمان قول وعمل[٢] ، أو بقولهم : الإيمان تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان[٣]. والعبارة الأولى أشهر وأجمع ؛ لأنها تعم قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح[٤] . وللإيمان في حال الإفراد أمثلة كثيرة ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ الأنفال: ٢ – ٣ ، وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمنون: ١ - ١١.

وإذا قرن الإيمان بالعمل كان اسما لقول القلب وعمله فقط ؛ وهو الذي فسره النبي ﷺ بقوله : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٥] . وللإيمان حال الاقتران أمثلة كثيرة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ ﴾ المائدة: ٩ ، وقوله : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾ يونس: ٦٢ - ٦٣ . وقد درج العلماء على إطلاق اسم

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ٥١٣/١٥ ، الصحاح للجوهري ٢٠٧١/٥ ، تفسير الطبري ١٠١/١ ، مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ١٢٢/٧ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، لأبي القاسم اللالكائي ١٧٦/١ ، مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ٣٠٨/٧ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٣٠٨) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٦٧٢/٧ ، عدة الصابرين ، لابن القيم ، ص (١٤١) .

(٥) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان ٣٦/١ ، ٣٧ .

العقيدة ، أو الاعتقاد على الإيمان حال الاقتران ؛ قال ابن تيمية : (اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة .. هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره)[1] .

فضائل الإيمان وآثاره

للإيمان فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة ؛ يجمعها أن الإيمان سبب سعادة الدنيا والآخرة ؛ وقد ورد في النصوص ذكر كثير من فضائل الإيمان ؛ فمن ذلك :-

١- التمكين في الأرض ؛ قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥ .

٢- الحياة الطيبة ؛ قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧ ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ محمد: ٢ ، أي حالهم ، وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ٩٦ .

٣- الهداية للحق ؛ علما وعملا وتثبيتا ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٤ ، وقال : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ التغابن: ١١ ، وقال : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ إبراهيم: ٢٧ .

٤- محبة الحق ومحبة الخلق ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ مريم: ٩٦ ، أي محبة في قلوب الخلق[2] ؛ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نادى جِبْرِيلَ : إن الله يحب فُلَانًا فَأَحببه ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فيُنَادِي جبريل فِي أهل السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢٩/٣ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٦٠/١١ ، تفسير ابن كثير ١٤٠/٣ .

فِي الْأَرْضِ)[1] .

٥- الحفظ من الشرور والقبائح ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الحج: ٣٨ ، وروى مسلم بسنده عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[2] .

٦- تفريج الكربات ، والنصر على الأعداء ، قال تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧ – ٨٨ ، وقال :﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم: ٤٧ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١ .

٧- الأمن من أهوال القيامة ؛ قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يونس: ٦٢ – ٦٣ ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام: ٨٢ ، وقال : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٣ .

٨- غفران الذنوب ، وتكفير السيئات ؛ قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ المائدة: ٩ ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ العنكبوت: ٧ ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ محمد: ٢ .

٩- النجاة من النار ، أو من الخلود فيها ؛ فالإيمان إذا كمل منع من دخول النار ، وإن كان ناقصا منع من الخلود فيها ، ولو كان مثقال ذرة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢ ، وروى البخاري بسنده عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ مرفوعا : (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، ٣/١١٧٥ ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ٤/٢٠٣٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ١/٧٦ ، ح (١٠٠) .

الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا ، أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ)[1] .

١٠- دخول الجنة ، والفوز بالسعادة الأبدية ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ النساء: ١٢٢ ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ يونس: ٩ ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَٰتِ ٱلۡجَنَّٰتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الشورى: ٢٢ ، وقال ﷺ : (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ ! قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)[2] ، وقال ﷺ : (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ)[3] .

وهذه الفضائل العظيمة وغيرها مما لم يذكر لا تحصل تامة لأهلها إلا بشرط السلامة من قوادح الإيمان ؛ وهي التي جعلها الله مقابلة للإيمان في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ ﴾ الحجرات: ٧ ؛ فعلم أن القوادح التي تقابل الإيمان ، وتعارض أصله أو كماله ترجع إلى ثلاثة أصول ؛ كفر وكبائر وصغائر ؛ لأن المراد بالفسوق في الآية الكبائر ، وبالعصيان الصغائر[4] . ولهذا كان من الضروري الإلمام بهذه القوادح ، لمعرفة حقائقها ، ومدى تأثيرها على اسم الإيمان وأحكامه في الدنيا والآخرة .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، ح (٢٢) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ١١٨٨/٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ح (٣٢٥٢) .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢١٠/٤ .

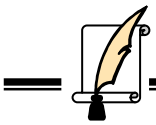

معنى الصغيرة وأهم أحكامها

الصغيرة اسم جامع لكل ذنب دون الحدين ؛ أي حد الدنيا ، وهو العقوبة المقدرة ، وحد الآخرة ، وهو الوعيد الخاص بنار أو لعنة أو غضب أو نحو ذلك[١] . وهي تكفر باجتناب الكبائر ، وبالحسنات الماحية ؛ قال تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ النساء: ٣١ ، وقال ﷺ : (الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر)[٢] . وتعظم الصغائر بالمجاهرة بها ، والإكثار منها ؛ لقوله ﷺ : (كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه ؛ فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه)[٣] ، وقوله ﷺ : (إياكم ومحقرات الذنوب ؛ فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ؛ كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتى جمعوا سوادا ، وأججوا نارا ، وأنضجوا ما قذفوا فيها)[٤] .

وأما الإصرار على الصغيرة فإنه يجعل حكمها حكم الكبيرة عند كثير من أهل العلم[٥] ؛ لحديث : (لا كبيرة مع الاستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار) ، ولكن إسناد الحديث ضعيف[٦] ؛ ولهذا قال الشوكاني : (قد قيل : ان الإصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة ، وليس على هذا دليل يصلح للتمسك به ؛ وإنما هي مقالة لبعض الصوفية ؛ فإنه قال : لا صغيرة مع إصرار . وقد روى بعض من لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ وجعله حديثا ،

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٦٥٠/١١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، ح (٢٣٣) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ح (٥٧٢١) .

(٤) مسند الإمام أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة ، ح (٣٨٠٨) . قال ابن حجر : إسناده حسن . فتح الباري ٣٢٩/١١ .

(٥) انظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي ٢٨/٤ ، ٢٩ ، لوامع الأنوار ، للسفاريني ٣٦٦/١ .

(٦) انظر : ضعيف الجامع الصغير ، ح (٦٣٢٣) .

ولا يصح ذلك ، بل الحق أن الإصرار حكمه حكم ما أصر عليه ؛ فالإصرار على الصغيرة صغيرة ، والإصرار على الكبيرة كبيرة)[١] .

معنى الكبيرة وأهم آثارها

الكبيرة اسم لكل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أنه كبير أو عظيم ، أو شدد النكير عليه ، أو شرع فيه حد في الدنيا ، أو توعد عليه بوعيد خاص في الآخرة[٢] ؛ وعلى هذا فالكبائر المصاحبة للإيمان تعرف بعلامات ؛ منها :-

١- النص على أن الذنب كبير ، أو من الكبائر ؛ كاليمين الغموس ، وقول الزور ، والإضرار في الوصية ، واستطالة المرء في عرض رجل مسلم ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنه تتبع ما ورد التصريح بأنه من الكبائر ، أو من أكبر الكبائر غاية التتبع ؛ ثم قال : (المعتمد من كل ذلك ما ورد مرفوعا بغير تداخل من وجه صحيح ؛ وهي السبعة المذكورة في حديث الباب — يعني حديث اجتنبوا السبع الموبقات - ، والانتقال عن الهجرة ، والزنا ، والسرقة ، والعقوق ، واليمين الغموس ، والإلحاد في الحرم ، وشرب الخمر ، وشهادة الزور ، والنميمة ، وترك التنزه من البول ، والغلول ، ونكث الصفقة ، وفراق الجماعة ؛ فتلك عشرون خصلة ، وتتفاوت مراتبها)[٣] .

٢- أن تشرع للذنب عقوبة مقدرة في الدنيا ؛ كعقوبة الزنا ، والسرقة ، والقذف .

٣- أن يقترن بالذنب وعيد أخروي يخصه ؛ كالوعيد بغضب الله ، أو لعنته ، أو ناره ، أو حرمان جنته ، أو بما يقتضي ذلك ؛ كنفي الإيمان ، أو الوعيد بحبوط العمل . يقول ابن حجر : (ينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد ، أو اللعن ، أو الفسق ؛ من القرآن ، أو الأحاديث الصحيحة والحسنة ، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة ، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عددها . وقد شرعت في جمع ذلك ،

---

(١) إرشاد الفحول ، ص (٥٣) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٦٥٠/١١ — ٦٦١ ، الزواجر للهيتمي ٢٧/١ .

(٣) فتح الباري ١٨٣/١٢ .

وأسأل الله الإعانة على تحريره ؛ بمنه وكرمه)[١] .

س/ هل وصف الذنب بالكفر أو النفاق أو الشرك يدل على أنه من الكبائر ؟

ج/ ورد في النصوص إطلاق اسم الكفر أو النفاق أو الشرك على كثير من المعاصي ؛ كقوله ﷺ : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر)[٢]، وقوله ﷺ : (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها ؛ إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر)[٣] ، وقوله ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[٤] . وهذه الأوصاف تدل على أن هذه الأفعال والأقوال من الكبائر ؛ لأن من علامات الكبيرة التي ذكرها أهل العلم نفي الإيمان عن المذنب ؛ وهذا النفي قد يكون لفظيا وقد يكون معنويا ؛ فاللفظي ما كان بصيغة السلب ، والمعنوي ما كان بوصف المذنب بنقيض الإيمان ؛ لأن ثبوت إحدى الصفتين المتقابلتين يستلزم انتفاء الأخرى . ولكن نفي الإيمان لفظا أو معنى لا يستلزم نفي الإسلام والخروج من الملة ؛ ولهذا أطلق علماء السلف على هذه الأوصاف اسم الكفر الأصغر ، والنفاق الأصغر ، والشرك الأصغر .

وقد اختلف أهل القبلة في أثر الكبيرة على الإيمان اختلافا كبيرا ؛ وهو أول خلاف عقدي افترقت الأمة بسببه ؛ فكانت الوعيدية طرفا ، والمرجئة طرفا آخر ، والسلف وسطا بين الطرفين المتقابلين[٥] .

مذهب الوعيدية

الوعيدية اسم يطلق على كل من تعلق بنصوص الوعيد وأهمل نصوص الوعد ؛ كالخوارج ، والمعتزلة ، والزيدية ، وغيرهم[٦] .

---

(١) فتح الباري ١٢/١٨٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (١١٦) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (١٠٦) .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب النذور والأيمان ، ح (١٥٣٥) . إسناده صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٦٢٠٤) .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٧/٤٧٩ .

(٦) انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ١/١١٤ .

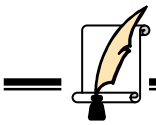

ومذهب الوعيدية في أثر الكبيرة على الإيمان يتلخص في أمرين :-

أحدهما : سلب الإيمان عن صاحب الكبيرة ، لأن الشرع أطلق اسم الكفر على صاحب الكبيرة ، وسلب الإيمان عنه في نصوص كثيرة ، كقوله ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[١] ، وقوله ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[٢] . وهذا محل اتفاق بين الوعيدية ، وإن اختلفوا في تعيين ما يطلق عليه من الأسماء ؛ هل يسمى كافرا كما قالت الخوارج ، أو يسمى فاسقا كما قالت المعتزلة ؟ فالكل يجمعهم سلب الإيمان عن صاحب الكبيرة ؛ ولهذا زعم المعتزلة أن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ؛ أي أنه خرج من منزلة الإيمان كليا ولكنه لم يدخل منزلة الكفر ، وإنما هو في منزلة بين الكفر والإيمان ؛ وبهذا يتضح وجه الفرق بين مذهبهم ومذهب السلف في إطلاق اسم الفسق على صاحب الكبيرة ؛ فالسلف وإن سموا صاحب الكبيرة فاسقا إلا أنهم لا يخرجونه من منزلة الإيمان كلية كما فعلت المعتزلة ، وإنما يخرجونه من جهة العمل دون الاعتقاد ؛ فيقولون : مؤمن بإيمانه ، فاسق بعمله ، أو مؤمن ناقص الإيمان ؛ فلا يعطونه اسم الإيمان المطلق كما قالت المرجئة ، ولا يسلبون عنه مطلق الإيمان ، كما قالت الوعيدية[٣] .

والثاني : القطع بإنفاذ وعيد من لقي الله على كبيرة ، والجزم بخلوده في النار ؛ فلا يخرج منها لابشفاعة ولا بعفو ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ البقرة: ١٦٧ ، وقوله : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ غافر: ١٨ ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ١٠ ، وقوله ﷺ : (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ! فقال له رجل : وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ قال : وإن قضيبا من أراك !)[٤] ، ولهذه النصوص نظائر كثيرة ؛ يعتمد عليها

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (١١٦) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (١٠٠) .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ، للأشعري ، ص (٨٦) ، الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص (٧٣) ، الملل والنحل ، للشهرستاني ١١٥/١ ، شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار ، ص (٦٩٧) ، مشارق أنوار العقول ، للسالمي ، ص (٣٣٥ ، ٣٣٦) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (١٣٧) .

الوعيدية في الجزم بإنفاذ وعيد الكبائر ، والحكم عليهم بالخلود في النار[١] .

س / كيف ترد على الوعيدية في سلب الإيمان عن صاحب الكبيرة سلبا كليا ؟

ج / ذكر علماء السلف وجوها كثيرة في الرد عليهم ؛ منها :-

١- أنّ الله تعالى أبقى اسم الإيمان مع الكبيرة ، ولم يخرج أهلها من الإيمان إلى الكفر ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾البقرة: ١٧٨ ، وقوله : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾الحجرات: ٩ ، وقوله :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾الأنفال: ٧٢ ، ؛ فأبقى اسم الإيمان وأخوّته مع كبيرة القتل والاقتتال ، والقعود عن الهجرة ، مع عظم الوعيد الوارد فيها ، وكذلك فإنّ النَّبيَّ ﷺ أثبت الأخوّة الإيمانيّة مع الكبيرة ؛ فقال ﷺ : (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ)[٢] ؛ فأبقى أخوّة الإيمان بين الظَّالم والمظلوم ، وأثبت للظَّالم حسنات يستوفي المظلوم منها ؛ فلو كانت كبيرته ترفع الإيمان وتزيله لما كان له حسنات يمكن الاستيفاء منها ؛ لأنّ الكفر يبطل جميع الحسنات[٣]، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾البقرة: ٢١٧ .

وهذه النّصوص الدالة على بقاء الإيمان مع الكبيرة إنّما تدل على بقاء أصله دون حقيقته الواجبة ؛ لأنّ الشرع نفى اسم الإيمان عن صاحب الكبيرة ، كما في قوله ﷺ : (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... الحديث)[٤] ، ولهذا قال أهل السُّنَّة والجماعة : إنَّ الكبيرة ترفع الإيمان المطلق ، لا مطلق الإيمان كما زعم الوعيديّة ؛ أي أنَّها ترفع كماله الواجب لا أصله المقتضي لدخول الجنّة ولو في المآل والعاقبة[٥] .

---

(١) انظر : فضل الاعتزال ، ص (٣٥٠) ، شرح الأصول الخمسة ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، مشارق أنوار العقول ، ص (٢٩٤) ، الحق الدامغ ، ص (١٩١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ، ٢٢٩٤/٥ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص (٣٢٢) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (١٠٠) .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ٦٧٣/٧-٦٧٦ .

٢- أنّه من المعلوم بالضّرورة أنّ أهل الكبائر كانوا موجودين زمن النَّبيِّ ﷺ ، وكان يعاملهم معاملة المسلمين في المناكحة والموارثة والغنيمة والفيء والصلاة والاستغفار ، وهذا برهان من السُّنَّة العمليّة على بقاء الإيمان مع الكبيرة . وكذلك كان النَّبيُّ ﷺ يعاقب من يعاقب منهم بعقوبات متفاوتةٍ ؛ فيرجم الزَّاني أو يجلده ، ويقطع السَّارق ، ويجلد الشَّارب والقاذف ، فلو كانت الكبائر تزيل الإيمان كليّة لكان صاحبها مرتدًّا يجب قتله على كلّ حال ، ولما كان لتفاوت عقوبات الكبائر معنى[١] .

٣- أنّ النُّصوص الَّتي ورد فيها إطلاق الكفر ونحوه على المعاصي العمليّة لا تدلّ على سلب الإيمان والخروج من الملّة ؛ لأنّها محمولة على الكفر الأصغر ، وإنّما أطلقت هذه الأسماء على المعاصي العمليّة باعتبار أنَّها من شعبها وأمور أهلها . وكذلك النّصوص الَّتي ورد فيها نفي الإيمان عن بعض أهل الكبائر لا تدلّ على ثبوت الكفر المخرج من الملّة ؛ لأنّها وردت في خطاب الوعيد والذمّ ، ولا يلزم من نفيه في هذا الحكم نفيه في سائر أحكام الإيمان كما توهّم الخوارج والمعتزلة ؛ ولهذا قال أهل السُّنَّة والجماعة : إنَّ المعاصي والذّنوب لا تزيل إيمانًا ولا توجب كفرًا ، ولكنّها تنفي من الإيمان كماله وإخلاصه دون أصله ومبدئه[٢] .

س / كيف ترد على الوعيدية في القطع بإنفاذ وعيد كل كبيرة ، والجزم بخلود أهلها في النار ؟

ج/ ذكر علماء السلف وجوها قوية محكمة في الرد عليهم ؛ منها :-

١- أنّ الجزم بإنفاذ وعيد كلّ من لقي الله على كبيرة من عصاة الموحّدين يناقض نصوص الوعد بمغفرة بعض الكبائر بمحض المشيئة ، أو بشفاعة النَّبيِّ ﷺ وشفاعة المؤمنين ؛ قال ابن عمر - رضي الله عنهما - : (كنّا نوجب لأهل الكبائر النَّار ، حتَّى نزلت هذه الآية على النَّبيِّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ؛ فنهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحدٍ من أهل الدِّين النَّار)[٣] ، وقال أيضا : (ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتَّى سمعنا من في نبيّنا ﷺ يقول : إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

---

(١) انظر : كتاب الإيمان ، لأبي عبيد ، ص (٨٨ ، ٨٩) ، الفصل ، لابن حزم ٢٨٤/٣ .

(٢) انظر : كتاب الإيمان ، لأبي عبيد ، ص (٨٩-٩٢) ، مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ٤٢٢/٧-٤٢٥ .

(٣) كتاب السنة ، لابن أبي عاصم ، ٤٧١/٢ ، ٤٧٢ ، قال الألباني : إسناده جيد .

لِمَنْ يَشَاءُ ؛ قال : فإنّي أخّرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي يوم القيامة ؛ فأمسكنا عن كثير ممّا كان في أنفسنا)[١] ، وفي رواية لابن عدي بسند صحيح : (ثم نطقنا بعد ورجونا)[٢] . وعلى هذا درج الصَّحابة والتَّابعون وأتباعهم من أهل السُّنَّة والجماعة ، فلم يقطعوا بإنفاذ وعيد كبيرة على اليقين ، وردّوا أمر أصحاب الكبائر إلى مشيئة الله وحكمته ، وقالوا في نصوص الوعيد : إنَّ ذلك جزاؤه ، فإن شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فيما دون الشِّرك فعل[٣] ؛ قال ابن كثير : (معنى هذه الصِّيغة : أنّ هذا جزاؤه إن جوزي عليه ، وكذا كلّ وعيد على ذنب ، لكن قد يكون ذلك معارضًا من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه .. وهذا أحسن ما يُسلك في باب الوعيد ، والله أعلم بالصَّواب)[٤] . وقد استقرأ ابن تيمية ما يعارض وعيد أصحاب الكبائر ويمنع إنفاذه ، فبلغ بها نحوًا من عشرة أمور ؛ وهي : ثلاثة من المذنب ؛ التَّوبة ، والاستغفار ، والحسنات الماحية . وثلاثة من غيره من الخلق ؛ وهي : دعاء المؤمنين واستغفارهم ، وإهداء ما ثبت وصوله من الأعمال الصَّالحة ، والشَّفاعة في أصحاب الكبائر . واثنان من الله تعالى ؛ وهي المصائب المكفّرة في الدّنيا ، وفي البرزخ ، وفي الآخرة ، وعفو الله تعالى عمَّا دون الشِّرك من الذّنوب[٥] .

٢- أنّ النّصوص صرّحت بأنّ العذاب الدائم للكفّار دون أصحاب الكبائر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ طه: ٤٨ ، وقال : ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ الليل: ١٥ - ١٦ ؛ والصّليّ هنا هو الصِّليّ المطلق ؛ وهو المكث فيها ، والخلود على وجهٍ يصل العذاب إليهم دائمًا ؛ وهو مختصٌّ بالكفّار دون أصحاب الكبائر ؛ لأنّ عذابهم ينقطع بالشَّفاعة ، أو بمحض عفو الله تعالى[٦] ؛ روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه مرفوعًا : (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ

---

(١) السنة ، لابن أبي عاصم ٣٩٨/٢ ، قال الألباني : إسناده حسن .

(٢) نقلا عن الدر المنثور ، ١٦٩/٢ .

(٣) انظر : الاعتقاد ، للبيهقي ، ص (١٠٣) ، فتح الباري ، لابن حجر ٤٩٦/٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٣٧/١ .

(٥) انظر : منهاج السنة ٢٠٥/٦-٢٣٩ ، مجموع الفتاوى ٤٨٧/٧-٥٠١ .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى ١٩٧/١٦ .

أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)[١] ، وروى البخاريّ بسنده عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : (إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَمَرَ اللهُ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ – وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ – فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ)[٢].

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ البقرة: ١٦٧ ، وقوله : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ غافر: ١٨ ؛ ونظائرها من الآيات فإنها مخصوصة بالكفّار ، ولا تعمّ عصاة الموحّدين كما بين ذلك أصحاب النبي ﷺ ؛ قال البخاريّ : (كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ ؛ وَقَالَ : إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[٣] .

٣- أمّا النّصوص الّتي اعتمدوا عليها في القطع بخلود أهل الكبائر في النّار ، فهي كغيرها من عمومات الشّريعة تقبل التّخصيص بالأدلّة المتّصلة والمنفصلة . وقد دلّ الاستقراء على أنّ هذه العمومات قد دخلها التّخصيص فخرج منها ستّ فئات ؛ التائب ، وصاحب الصّغيرة ، ومن رجحت حسناته بكبائره ، أو ساوتها ، ومن عفي عنه قبل إنفاذ وعيده بسبب منه أو من غيره من الخلق ، ومن دخل النّار من عصاة الموحّدين ؛ فإنّ الأحاديث في خروجهم منها متواترة[٤] ، روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا : (يقول اللهُ عز وجل : وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي ، وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي ، لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)[٥] .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الشفاعة ١٧٢/١ ، ١٧٣ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب صفة الصلاة ، باب فضل السجود ٢٧٨/١ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدين ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ٢٥٣٩/٦ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١٤٩/١ ، النهاية ، لابن كثير ٢٠٩/٢ .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلا ١٨٤/١ .

مذهب المرجئة

المرجئة اسم يطلق على كل من أخرج العمل عن مسمى الإيمان ، أو تعلق بنصوص الوعد وأهمل الوعيد ؛ ويدخل في ذلك فرق كثيرة ؛ كالجهمية ، والكرامية ، والأشعرية ، والماتريدية ، والإمامية[١] .

ومذهب المرجئة في أثر الكبيرة على الإيمان يتلخص في أمرين :-

أحدهما : تأثير الكبيرة على اسم الإيمان ؛ فالكبيرة عند المرجئة لا تؤثر في اسم الإيمان مطلقا ؛ وصاحب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان ولو فعل من الكبائر ما فعل ؛ لأن العمل بزعمهم لا يدخل في مسمى الإيمان ؛ ولهذا غاير الله بينهما في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ ﴾ المائدة: ٩ ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ مريم: ٩٦ ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ ﴾ البينة: ٧ ؛ فدل ذلك ونظائره على أن اسم الإيمان مختص بالقول دون العمل[٢] .

وقد أجاب أهل العلم عن هذه الشبهة بما خلاصته أن هذا التعميم غير مسلم ؛ لأن الإيمان من الألفاظ التي تتنوع دلالتها باعتبار الإفراد والاقتران ؛ فإذا ذكر لفظ الإيمان مفردا دخل العمل في مسماه ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ الأنفال: ٢ - ٤ ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ الحجرات: ١٥ ، وقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾ المائدة: ١١ ، ونظائر هذه النصوص التي تعم أقوال الإيمان وأعماله قطعا .

وأما إذا قرن الإيمان بالعمل كما في النصوص التي ذكروا فلا يلزم من ذلك خروج العمل عن

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٩٥/٧ ، أصول الدين للبغدادي ، ص (٢٤٨ ، ٢٤٩) ، المسامرة ، لابن أبي شريف ، ص (٢٨٥) ، الاقتصاد ، للطوسي ، ص (٢٢٧) .

(٢) انظر : شرح المقاصد ، ١٩٥/٥ ، الإلهيات ، للسبحاني ٨١٦/٢ .

مسمى الإيمان ؛ لأن الخاص كثيرا ما يعطف على العام ؛ لمزيد الاعتناء به ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ البقرة: ٩٨ ، ولو سلمنا بدلالتها على خروج العمل عن مسمى الإيمان فإن دلالتها مقيدة بحال الاقتران دون حال الإفراد[١] .

والثاني : تأثير الكبيرة على أحكام الإيمان في الآخرة ؛ فالمرجئة وإن اتفقوا على أن الكبيرة لاتؤثر على اسم الإيمان في الدنيا إلا أنهم اختلفوا في تأثيرها على أحكام الإيمان في الآخرة على ثلاثة أقوال رئيسة :-

١- إثبات وعيد الكبائر ، مع القطع بإنفاذه في حق بعض العصاة دون بعض . وهذا مذهب مرجئة الفقهاء ؛ فوافقوا السلف في حكم صاحب الكبيرة وإن خالفوهم في اسمه ؛ ولهذا قيل : إن خلافهم مع السلف خلاف صوري ! وهي مقولة غير مسلمة ؛ لأن خلافهم في مسمى الإيمان أدى إلى مخالفة السلف في مسائل كثيرة ؛ كزيادة الإيمان ونقصانه ، وتبعض الإيمان ، والاستثناء في الإيمان ، ومراتب الكفر ، وحكم من ترك العمل كله ، وغير ذلك[٢] .

٢- إثبات وعيد الكبائر مع تجويز سقوطه عن كل من لقي الله تعالى على كبيرة . وهذا قول طائفة من مرجئة الشيعة ، ومرجئة أهل الكلام[٣] . وهو خطأ بلا شك ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ ؛ فدل على أن المغفرة تقع لبعض العصاة دون بعض ؛ ولأن نصوص الشفاعة المتواترة صريحة في الدلالة على إنفاذ الوعيد في بعض أصحاب الكبائر[٤] ؛ روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٩٦/٧-١٩٩ ، شرح الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص (٣٤٤-٣٤٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣٩٤/٧ ، ٣٩٥ ، شرح الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص (٣٣٣ ، ٣٣٧) .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ص (١٤٤-١٥٠) ، شرح الأصفهانية ، ص (١٤٤) ، مجموع الفتاوى ١٩٦/١٦ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١٨٤/١١ ، ١٨٥ ، ١٩/١٦ .

الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)[١] .

٣- نفي وعيد الكبائر في حق كل موحد ؛ فكل من لقي الله على كبيرة من عصاة الموحدين فإن الله يغفر له قطعا ؛ لأنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ! وهذا قول غلاة المرجئة ، ويحكى عن مقاتل ، والأشبه أنه كذب عليه[٢] . وقد تعلق هؤلاء الغلاة بنصوص الوعد ؛ وأشهر ها نصوص الوعد على الشهادة ؛ كقوله ﷺ : (مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)[٣] ؛ فعلم من هذه النص ونظائره أن النار محرمة على كل موحد حتى لو لقي الله مصرا على الكبائر[٤] !

وهذا القول لاشك أنه خطأ كبير ؛ لأنه يعني إهمال نصوص الوعيد إهمالا تاما ، وإضعاف روح الاستمساك بالشريعة ، بل إنه يتضمن إهمال نصوص الوعد ذاتها ؛ لأن استقراء نصوص الوعد يدل على أن حكمها وأثرها وفضلها مقيد بشروط كثيرة ؛ فنصوص الوعد على الشهادة مثلا قيدت بالعلم واليقين والصدق والإخلاص والانقياد ؛ كقوله ﷺ : (من مات وهو يعلمُ أنَّه لا إلهَ إلا اللهُ دخل الجنَّةَ)[٥] ، وقوله : (من لقيتَ من وراءِ هذا الحائطَ يشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ مستيقِنًا بها قلبُهُ فبشِّرْهُ بالجنَّة)[٦] ، وقوله : (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)[٧] ، وقوله : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)[٨] ، وقوله : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)[٩] ، وفي رواية : (من وحد الله)[١٠] ؛

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الشفاعة ١٧٢/١ ، ١٧٣ .

(٢) انظر : الملل والنحل ١٣٩/١ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، شرح الأصفهانية ، ص (١٤٤) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٦١/١ .

(٤) انظر : التنبيه والرد ، للملطي ، ص (١٤٦) ، فتح الباري ٢٢٦/١ .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٥٥/١ .

(٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٦٠/١ .

(٧) صحيح البخاري : كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم ٦٠/١ .

(٨) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر ٤٥٦/١ .

(٩) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لاإله إلا الله ٥٣/١ .

(١٠) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لاإله إلا الله ٥٣/١ .

فهذه الروايات الصحيحة تبين أن الوعد المرتب على الشهادة مقيد ، وليس على إطلاقه كما توهمت المرجئة وأوهمت[١] .

مذهب السلف

يتلخص مذهب السلف في أصحاب الكبائر في أمرين :-

أحدهما : أثر الكبيرة على اسم الإيمان ؛ فالكبيرة عند السلف ترفع اسم الإيمان المطلق ؛ لقوله ﷺ : (لايَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلايَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[٢] ؛ فدل هذا النص ونظائره على أن الكبيرة تؤثر على الإيمان ، وترفع اسمه المطلق . ولكن الكبيرة عندهم لا ترفع مطلق الإيمان ؛ لدلالة النصوص على بقاء الإيمان مع الكبيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾الحجرات: ٩ ؛ فكان السلف بهذا القول وسطا بين إفراط الوعيدية وتفريط المرجئة ؛ لأن الوعيدية رفعوا عن صاحب الكبيرة مطلق الإيمان ، والمرجئة أعطوه الإيمان المطلق[٣] .

والثاني : أثر الكبيرة على أهلها في الآخرة ؛ فالسلف يثبتون وعيد الكبائر ، ويقطعون بإنفاذه في حق بعضهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ ؛ فأخبر أن مغفرته تقع لبعض العصاة دون بعض[٤] . ويجزمون مع هذا بأمرين عظيمين :-

١- أن القطع بإنفاذ وعيد الكبيرة إنما يكون على سبيل الإجمال ، فلا يقطع بإنفاذه في حق معين ؛ لاحتمال أن يقوم به مانع من موانع إنفاذ الوعيد ، كالحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، والشفاعة المقبولة ، والعفو المحض[٥] ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ هود: ١١٤ ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء:

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم ، ص (١٩٨) ، كلمة التوحيد ، لابن رجب ، ص (٢٠) ، مجموعة التوحيد ، ص (٣٥٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (١٠٠) .

(٣) انظر : الفصل ، لابن حزم ٢٨٠/٣ ، مجموع الفتاوى ٦٧٣/٧ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١٨٤/١١ ، ١٨٥ ، ١٩/١٦ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص (٣٢٥-٣٣١) ، إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير ، ص (٣٦٩) .

٤٨ ، وقال ﷺ : (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم)[١] ، وقال : (مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه)[٢] ، وقال : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[٣] ، وقال : (خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ ، مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ)[٤] .

٢- أن من شاء الله تعالى أن ينفذ وعيده من أصحاب الكبائر فإنه لا يخلد في النار ؛ لأن الله تعالى يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ؛ قَالَ ﷺ : (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً)[٥] ، وقَالَ : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)[٦] ؛ قال ابن كثير : (تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان)[٧] .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد فاحتسب ٤٢٢/١ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه أربعون ٦٥٥/٢ .

(٣) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة ، باب ماجاء في الشفاعة . إسناده صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٣٧١٤) .

(٤) سنن النسائي : كتاب الصلاة ، باب المحافظة على الصلوات الخمس ٢٣٠/١ . إسناده صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٣٢٤٣) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، ح (٢٢) .

(٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الشفاعة ١٧٢/١ ، ١٧٣ .

(٧) تفسير ابن كثير ٥٣٧/١ .

.

معنى الكفر وأنواعه

الكفر نقيض الإيمان ومقابله ؛ والخلاف في تحديد مفهومه ناشئ عن الخلاف في معنى الإيمان ؛ ولما كان الإيمان عند جميع المرجئة قولا بلا عمل كان الكفر عندهم مجرد قول بلا عمل ؛ وبناء على ذلك قصروا معناه على الكفر القولي ؛ وهو كفر التكذيب ، وزعموا أن ما ورد من إطلاق الكفر على العمل ؛ فإما من باب المجاز ، أو مضمن معنى الاستحلال ؛ ليرجع إلى كفر التكذيب[١] !

وهكذا السلف فقد طردوا أصلهم في الإيمان ؛ وقالوا : إن الكفر كمقابله كلاهما قول وعمل ؛ فالكفر القولي هو كفر التكذيب ، والكفر العملي هو كفر التولي ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ طه: ٤٨ ، وقال : ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ الليل: ١٥ – ١٦ ، وقال :﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ العلق: ١٣ - ١٤ ؛ ويدخل في التكذيب كفر الشك ، وفي التولي كفر الإعراض ؛ فيكون الكفر الأكبر أربعة أنواع[٢] :-

١- **كفر التكذيب** ؛ وهو اعتقاد كذب الرسل ، أو جحد صدقهم ، والفرق بينهما أن الاعتقاد تكذيب القلب ، والجحود تكذيب اللسان ، والتكذيب القلبي نادر الوقوع بخلاف تكذيب اللسان[٣] ؛ قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾النمل: ١٤ ، وقال : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣ .

وأعظم صور كفر التكذيب التكذيب بوجود الله تعالى ؛ وهو ما عرف عند المتقدمين بتعطيل الصانع[٤] ، واشتهر في العصر الحديث باسم الإلحاد . والتكذيب بوجود الله تعالى لم يعرف إلا

---

(١) انظر : المحصل للرازي ، ص (٣٥٠) ، شرح المقاصد ، للتفتازاني ٥ /٢٢٤-٢٢٦ ، الاقتصاد ، للطوسي ، ص (٢٢٧ ، ٢٣٠) ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٣٢٣) .

(٢) انظر : درء التعارض ٢٤٢/١ ، مجموع الفتاوى ٣٣٥/١٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٣٣٨) .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٣٣٧/١ .

(٤) انظر : التنبيه والرد ، للملطي ، ص (١٠٦) ، المفردات للراغب ، ص (٣٣٨) ، شرح المقاصد ٢٢٧/٥ .

عن شرذمة قليلة من المتقدمين ؛ كالنمروذ ، وفرعون ، والدهرية ؛ قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨ ، وقال :﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الشعراء: ٢٣ – ٢٩ ، وقال : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤ . وأما في العصر الحديث فقد انتشر الإلحاد بشكل غير مسبوق في التاريخ ؛ لأسباب كثيرة ؛ منها :-

أ- الشيوعية ؛ فالشيوعية كما هو معروف تعتبر الإلحاد من صميم المادية الجدلية ؛ ولهذا فرضوا الإلحاد فرضا في مناهج التعليم ووسائل الإعلام ، وقد أدى ذلك على المدى إلى انتشار الإلحاد في أجزاء واسعة من العالم ، وهي ما كان يعرف بدول المعسكر الشرقي[1] .

ب- العقلانية ؛ فقد ضخمت العقلانية دور العقل وأهملت بقية مصادر المعرفة ، ثم تحولت إلى تضخيم العلم التجريبي ، واعتباره الطريق الوحيد لليقين ، وفي الطورين كليهما أسقطت قضية الإيمان بكاملها ؛ واعتبرتها خارجة عن دائرة العلم اليقيني ؛ بحجة أنها غير معقولة ، أو غير محسوسة ! بل إن كثيرا منهم اعتبر الفكر الديني مناقضا للعقل ، ومصادما للعلم ؛ حتى كانت الدعوة إلى التفكير الحر كثيرا ما تعني الإلحاد[2] !

ج- الديمقراطية ؛ لأن من أبرز مبادئها مبدأ الحرية (الليبرالية) ؛ ومن مجالات الحرية التي تتيحها الديمقراطية حرية التدين ؛ فلكل فرد كامل الحق في أن يتدين أو يحايد أو يلحد ! ومن خلال هذا المبدأ تمكن دعاة الإلحاد من نشره في كثير من المجتمعات الغربية [3]!

د- المؤسسات التنصيرية ؛ فهدف هذه المؤسسات الأول إدخال المسلمين وغيرهم في النصرانية

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص (٢٦٨-٢٨٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص (٥٠٠-٥٣١) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص (٢١٥-٢٢١) .

، ولكن حين تبين لهم صعوبة تحويل المسلمين عن دينهم رأوا أن من ضرورات التنصير إسقاط قدسية الإسلام من نفوس المسلمين ؛ وذلك عن طريق إثارة موجات من التشكيك في مبادئ الإسلام التي تنتهي بكثير من أهله إلى الإلحاد ! وقد استغلوا لتحقيق هذا الهدف مالديهم من إمكانات إعلامية واقتصادية وسياسية هائلة[١] ! ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف: ٢١ .

هـ- دور اليهود ؛ فاليهود كما هو معلوم يقسمون الناس إلى يهود وأميين (جوييم) ، ويرون أن الجوييم هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم اليهود ، كما هو منصوص على ذلك في التلمود ! ولا يمكن استحمار الجوييم واستعبادهم إلى بنزع الإيمان ؛ ولهذا سعوا بكل ما أوتوا من نفوذ لإفساد دين الجوييم وأخلاقهم وقيمهم ؛ قال تعالى : ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا ﴾ المائدة: ٦٤ ، وقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ٧٥ . وأعظم الإفساد الذي نشروه في الأرض الترويج للإلحاد في مجتمعات غير اليهود ؛ وذلك عن طريق النظريات التي تهدم الدين ؛ كنظرية دارون وماركس وفرويد ودور كايم وغيرهم ، وساعدهم على ذلك واقع المجتمع الصناعي ، الذي أصبحت معظم مؤسساته في أيديهم بعد سقوط رجال الإقطاع[٢] !

٢- **كفر الشك** ؛ وهو التردد وعدم الجزم في أمر الرسول ﷺ بتصديق ولا تكذيب[٣] ؛ والشك يكون عاما ؛ كالشك في صحة النبوة ، ويكون خاصا ببعض مشتملاتها ؛ كالشك في شيء مما أخبر به الرسول ﷺ ، أو حكم به ، أو في بعض ماعلم من الدين بالضرورة . والشك الذي يعتبر كفرا هو التردد المستقر ، الذي يركن إليه القلب ولا يدافعه ، وعلى هذا فالخطرات العارضة التي يكرهها العبد ، ولا يجرؤ على التصريح بذكرها ليست من الشك الكفري ، بل إن كراهتها ومدافعتها وتعاظم الكلام بها صريح الإيمان[٤] ؛ روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

---

(١) انظر : التنصير ؛ مفهومه وأهدافه ، لـــ د / علي النملة ، ص (٧-٩ ، ٣٣ ، ٣٤) .

(٢) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص (٧٩- ١٧٧) .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة ٩٤/١ ، ٩٥ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١٠٨/١٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٢٥٩) .

قَالَ : (جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ؟ قَالَ : وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ) ، وفي رواية (تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ)[١] .

٣- **كفر التولي** ؛ ويسمى أيضا كفر الإباء أو الاستكبار أو العناد ؛ وهو الامتناع عن الانقياد للحق الذي جاءت به الرسل ؛ لهوى من الأهواء الصارفة عن الإذعان للحق[٢] ؛ وهي كثيرة ؛ منها :-

أ- الكبر ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ؛ قال ابن القيم : (إبليس .. لم يجحد أمر الله ، ولا قابله بالإنكار ، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار . ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول ، وأنه جاء بالحق من عند الله ، ولم ينقد له إباء واستكبارا ، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل ، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٧ ، وقول الأمم لرسلهم : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ إبراهيم: ١٠ ، وقوله : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾ الشمس: ١١)[٣] .

ب- الحسد ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ البقرة: ٨٩ - ٩٠ ، قال أبو العالية : (كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب ؛ يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمدًا ﷺ ، ورأوا أنه من غيرهم ، كفروا به ؛ حسدًا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ)[٤] .

ج- العادات المستحكمة ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان ١١٩/١ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١٩١/٧-١٩٤ ،مجموعة التوحيد ، ص (٢٣٣ ، ٣٤٩)، مصباح الظلام ، ص (٣٢٧) .

(٣) مدارج السالكين ٣٣٧/١ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٢٤/١ .

أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٧٠ ، وقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ المائدة: ١٠٤ ، وقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ لقمان: ٢١ . وقد كثر ذكر هذا السبب في القرآن ؛ لعظم تأثيره في نفوس المشركين ، حتى إنه صد أبا طالب عن الإيمان مع وفور عقله ، وكمال علمه بصدق النبي ﷺ ؛ روى البخاري بسنده عن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ : (أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ : يَا عَمِّ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ! فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ ! حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)[1] ؛ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبالغته ﷺ وتكريره ؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها)[2] .

د- الخوف من فتنة الناس ؛ قال تعالى : ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ القصص: ٥٧ ؛ فاعتذروا عن اتباع الهدى بالخوف من عداوة الناس ؛ قال ابن كثير : (يقول تعالى مخبرًا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ : ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ أي ؛ نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى ، وخالفنا مَنْ حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ، ويتخطفونا أينما كنا)[3] .

وهذه الأسباب لا تختص بصد الكفرة عن الإيمان ، بل إنها تؤثر كثيرا على بعض أهل القبلة ؛ فالخوف من فتنة الناس مثلا قد يفضي ببعض من لم يثبت الإيمان في قلبه إلى الكفر ؛ أو إلى مداراة أهله ؛ بإظهار الكفر قولا أو عملا ؛ قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، ح (١٣٦٠) .

(٢) كتاب التوحيد ، مع القول السديد ، ص (٧٤) .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٩٥/٣ .

خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١ ، وقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ العنكبوت: ١٠ .

٤- **كفر الإعراض** ؛ وهو الصدود عن النظر في الأصل الذي يدخل به المكلف في الإسلام ، فلا ينظر في حجج الحق ، ولا يصغي إلى ما جاء به الرسول ﷺ ، ولا يلقي له بالا[1] ؛ قال تعالى : ﴿ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأحقاف: ٣ ، وقال : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾ الكهف: ٥٧ ، وقال : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ السجدة: ٢٢ ، وقال : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ فصلت: ٢٦ - ٢٧ ؛ يقول ابن القيم : (العذاب يستحق بسببين ؛ أحدهما : الإعراض عن الحجة ، وعدم إرادتها ، والعمل بها وبموجبها . الثاني : العناد لها بعد قيامها ، وترك إرادة موجبها . فالأول كفر إعراض ، والثاني كفر عناد)[2] .

معنى النفاق وأنواعه

الكفر قد يكون ظاهرا كما هو حال أغلب الكفرة ، وقد يكون باطنا ؛ فيظهر صاحبه الإسلام خوفا أو مكرا ويبطن نوعا من أنواع الكفر ؛ وهؤلاء يسمون شرعا بالمنافقين ، وعرفا بالزنادقة[3]. والمنافقون أشد خطرا على الإسلام وأهله من كثير من كفار المجاهرة ؛ ولهذا وعد الله المنافقين بما وعد به كفار المجاهرة وزيادة ؛ قال تعالى :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ التوبة: ٦٨ ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٤٥ ؛ قال ابن القيم : (إنما كانت هذه الطبقة في الدرك الأسفل ؛ لغلظ كفرهم ؛ فإنهم خالطوا المسلمين ، وعاشروهم ، وباشروا من أعلام الرسالة ، وشواهد الإيمان ما لم يباشره البعداء ، ووصل إليهم من معرفته وصحته ما لم يصل إلى المنابذين بالعداوة ، فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفرا ، وأخبث

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٣٣٨/١ ، مفتاح دار السعادة ٩٤/١ .

(٢) طريق الهجرتين ، ص (٤١٤) .

(٣) انظر : المغني لابن قدامة ٢٦٩/١٢ ، مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ٤٧١/٧ .

قلوبا ، وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين)[١] .

ولشدة خطر هذا الضرب من الكفرة على الإسلام وأهله كثر ذكر أحوالهم وأوصافهم في القرآن ؛ ليكون المؤمنون على حذر تام وحيطة بالغة من النفاق وأهله ؛ فمن ذلك :-

١- الاختلاف التام بين الظاهر والباطن ؛ فأعمالهم تكذب أقوالهم ، وسرائرهم تناقض علانيتهم ؛ قال تعالى :﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ البقرة: ١٤ ، وقال : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ المنافقون: ١ .

٢- بغض الإسلام وأهله ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ التوبة: ٥٤ ، وقال : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٨١ ، وقال : ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ التوبة: ٤٨ ، وقال : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٩ - ١٢٠ ، وقال ﷺ : (آية النفاق بغض الأنصار)[٢] ، وهذا الحكم لا يختص بالأنصار ، بل يعم كل مؤمن شاركهم في نصرة الله ورسوله[٣] .

٣- الإعراض عن التحاكم إلى القرآن والسنة ؛ قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ النساء: ٦٠ - ٦١ ، وقال : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟

---

(١) طريق الهجرتين ، ص (٤٠٣) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان ٨٥/١ .

(٣) انظر : الصارم المسلول ، ص (٥٨١ ، ٥٨٢) .

إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ النور: ٤٧ – ٤٩ .

٤– موالاة الكفار ؛ قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ النساء: ١٣٨ - ١٣٩ ، وقال : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ المائدة: ٨٠ – ٨١ .

٥– إيذاء الرسول ﷺ ، وإيذاء المؤمنين . وقد ذكر الله تعالى عن المنافقين أنواعا من هذا الأذى ؛ منها :–

أ– اللمز ؛ وهو العيب والقدح في النبي ﷺ أو في أتباعه على دينه ؛ قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ التوبة: ٥٨ ، روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قَالَ : (بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ : اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : وَيْلَكَ ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ! قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ ، قَالَ : دَعْهُ ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ ... الحديث ، وفيه : قَالَ : فَنَزَلَتْ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ)[1] .

وأما عيب أتباع النبي ﷺ فدليله قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة: ٧٩ ؛ روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : (لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ[2] ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ ، فَقَالُوا : مُرَائِي ! وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ ، فَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا ! فَنَزَلَتْ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ الْآيَةَ)[3] .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدين ، باب من ترك قتل الخوارج للتألف ٦/٢٥٤٠ .

(٢) أي نحمل على ظهورنا بالأجرة ؛ لنجد ما نتصدق به . انظر : فتح الباري ٣/٢٨٣ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ٢/٥١٤ .

ب- الاستهزاء بالدين وأهله ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ ؛ روى ابن أبي حاتم وغيره بسند حسن[١] عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض (أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعني : رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ! فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركبان ، نقطع به عناء الطريق ، قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة لتنكب رجليه وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله ﷺ : أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ! ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه !)؛ قال شيخ الإسلام : (الإيمان قول و عمل ؛ فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية ؛ لله سبحانه و تعالى ، والرسالة لعبده ورسوله ، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبة من الإجلال و الإكرام ؛ الذي هو حال في القلب ، يظهر أثره على الجوارح ، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه ، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ، ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح ؛ إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها ؛ فمتى لم توجب زكاة النفس ولا صلاحها فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب ، ولم تصر صفة ونعتا للنفس ولا صلاحا ، وإذا لم يكن علم الإيمان المفروض صفة لقلب الإنسان ، لازمة له لم ينفعه ، فإنه يكون بمنزلة حديث النفس وخواطر القلب ، والنجاة لا تحصل إلا بيقين في القلب ، ولو أنه مثقال ذرة !)[٢] .

ج- سب الرسول ﷺ ؛ وهو من أخبث ما وقع فيه المنافقون من أذى ؛ قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ ﴾ التوبة: ٦١ ؛ فكان من المنافقين من يبسط لسانه بالوقيعة في النبي ﷺ دون اكتراث بما يقول حتى لو بلغ النبي ﷺ ؛ لأن النبي بزعمهم أذن ؛ أي

---

(١) انظر في الحكم على الحديث : النهج السديد ، ص (٢٣٥) .

(٢) الصارم المسلول ، ص (٣٦٩ ، ٣٧٠) .

يصدق كل عذر ، ويروج عليه حتى لو كان باطلا ! والظاهر أن هذا السب كان من جملة مايسرون من النفاق ؛ لأن النبي ﷺ كان يأمر بقتل من استعلن بالسب ؛ كما في خبر كعب بن الأشرف الذي استعلن بهجاء النبي ﷺ ، فانتدب النبي ﷺ لقتله ، فقتله محمد بن مسلمة ومن معه ، وخبر ابن أبي الحقيق لما استعلن بأذى النبي ﷺ أرسل النبي ﷺ إليه من يقتله ، فقتله عبد الله بن عتيك ، وخبر ابن خطل ؛ فقد قتل بأمر النبي ﷺ هو وجاريتيه ؛ لأنه كان يقول الشعر في هجاء النبي ﷺ ، ويأمرهما أن تغنيا به ، وخبر اليهودية التي كانت تشتم النبي ﷺ فخنقها رجل حتى ماتت ، فأطل النبي ﷺ دمها . وقد رأى شيخ الإسلام أن هذه الوقائع وغيرها تدل على أن سب النبي ﷺ يوجب الردة المغلظة ؛ وهي الردة التي يتحتم فيها قتل الساب مطلقا بلا استتابة . وقد أطال في تقرير هذا الحكم نقلا ، وإجماعا ، واعتبارا[1] .

معنى الشرك وأنواعه

الشرك اصطلاحا إثبات شريك لله تعالى في بعض ما يختص به[2] . والشرك داخل في معنى الكفر حال الإفراد ؛ لأن الشرك إما تكذيب لأدلة التوحيد ، وهذا التكذيب من صور الكفر القولي . وإما إباء عن الانقياد لأدلة التوحيد ، أو إعراض عن النظر فيها . وهذا الإباء والإعراض من صور الكفر العملي .

والشرك هو أكثر صور الكفر وقوعا في الأمم ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الروم: ٤٢ ؛ ولهذا كثر في النصوص تفصيل أحكامه ، وبيان آثاره القبيحة في الدنيا والآخرة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨ ، وقال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢ ، وقال : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الحج: ٣١ ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥ .

وينقسم الشرك باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام :-

---

(١) انظر : الصارم المسلول ، ص (٣-٢٥٣) .

(٢) انظر : الاستقامة ١/٣٤٤ .

١- شرك في الربوبية ؛ وهو إثبات شريك لله تعالى في بعض معاني الربوبية ؛ كالخلق والملك والتدبير[١] . والشرك في الربوبية ثلاثة أنواع :-

أ- شرك في الذات ؛ كشرك الثنوية من المجوس ، وشرك أهل الثليث من النصارى .

ب- شرك في الخلق والفعل ؛ كشرك الصابئة ، والفلاسفة ، والقدرية الثانية ، وغيرهم ممن جعل بعض المخلوقات مبدعة أو مشاركة في الخلق والتدبير[٢] !

ج- شرك في الأمر ؛ وهو يصدق على كل من جعل حق التحليل والتحريم لغير الله تعالى ؛ لأن الأمر كالخلق ؛ كلاهما من خصائص الربوبية[٣] ؛ قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

٢- شرك في الأسماء والصفات ؛ وهو إثبات شريك لله تعالى في بعض ما يختص به من أسماء أو صفات . وهذا الشرك نوعان :-

أ- شرك في الأسماء الحسنى ؛ كإطلاق ما اختص به الرب من أسماء على غيره تعالى ، أو اشتقاق أسماء الأوثان من أسماء الله تعالى ؛ كاشتقاق اللات من الإله ، والعزى من العزيز .

ب- شرك في الصفات العلا ؛ كتمثيل الخالق بالمخلوق أو العكس ؛ والأول شرك اليهود ؛ فهم كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ، ويصفونه بصفاته ؛ كالعجز ، والفقر والبخل ! ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ ق: ٣٨ ، وقال :﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ آل عمران: ١٨١ ، وقال : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ المائدة: ٦٤ . وفي المشبهة شعبة من هذا الشرك ؛ لأنهم يشبهون الخالق بالمخلوق ؛ ويقولون : يد الله كيدي ، وسمعه كسمعي ، وبصره كبصري !

والثاني شرك النصارى ؛ فهم كثيرا ما يعدلون المخلوق بالخالق ، ويصفونه بصفاته ؛ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٦٢/١ ، المجموع الثمين ٨/٢ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ، ص (٢١١) ، تيسير العزيز الحميد ، ص (٤٣ ، ٤٤) .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص (٥٤٣-٥٥٤) .

إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ المائدة: ٧٢ – ٧٥ . وفي الباطنية وكثير من الرافضة والصوفية شعبة من هذا الشرك ؛ فإنهم يضفون على أئمتهم وأوليائهم من صفات الكمال ما لا يليق إلا بالله وحده[١] !

٣- شرك في الألوهية ؛ وهو إثبات شريك لله تعالى في بعض أنواع العبادة أو أفرادها[٢] . وهو أنواع كثيرة ، من أخطرها وأكثرها وقوعا خمسة أنواع :-

أ- شرك الدعاء ؛ وهو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ وهذا أصل الشرك في العالم ، وأعظم أنواع الشرك في العبادة [٣]؛ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يونس: ١٠٦ ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ – ٦ .

ب- شرك المحبة ؛ وهو تسوية غير الله بالله في المحبة الخاصة ؛ وهي محبة التأله المستلزمة للذل والخضوع ، وكمال الطاعة والإيثار ؛ قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥ . وأما المحبة المشتركة فلا تقدح في المحبة الخاصة إلا إذا قدمت على محبة الله ورسوله ؛ فإن صاحبها حينئذ يكون من أهل الوعيد[٤] ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٥٥/١٠ ، تيسير العزيز الحميد ، ص (٤٤) .

(٢) انظر : مدارج السالكين ٣٣٩/١ ، القول السديد ، ص (٥٢) .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص (٢١٤-٢٤٩) .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص (٤٦٦-٤٨٣) .

ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة: ٢٤ .

ج- شرك الإرادة ؛ وهو أن يكون قصد العبد في أعماله الصالحة كلها ابتغاء الدنيا دون أن يكون له هم في ثواب الآخرة ؛ قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ هود: ١٥ – ١٦ ، وقال : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الإسراء: ١٨ ، وقال : ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى: ٢٠ . وكل من طلب شيئا من الدنيا بعمل الآخرة ففيه شعبة من هذا الشرك ، ولكنه لا يخرج من الإسلام حتى يقوم به حقيقة هذا الشرك ، وتتمحض إراداته كلها للدنيا[1] .

د- شرك الطاعة ؛ وهو طاعة الخلق في تبديل شرع الخالق ؛ قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة: ٣١ ؛ يفسرها ما روى الترمذي بسند عن عدي بن حاتم ﷺ قال أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال : (يا عدي اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعته يقرأ في سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه)[2] ؛ قال ابن تيمية : (وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ يَكُونُونَ عَلَى وَجْهَيْنِ :-

(أَحَدُهُمَا) : أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللَّهِ فَيَتْبَعُونَهُمْ عَلَى التَّبْدِيلِ فَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ؛ اتِبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ ؛ فَهَذَا كُفْرٌ وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا – وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ وَيَسْجُدُونَ لَهُمْ – فَكَانَ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَهُ فِي خِلَافِ الدِّينِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ خِلَافُ الدِّينِ وَاعْتَقَدَ مَا قَالَهُ ذَلِكَ دُونَ مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؛

---

(١) انظر : عدة الصابرين ، ص (٢٠٨) ، تيسير العزيز الحميد ، ص (٥٣٤-٥٤٣) .

(٢) سنن الترمذي : كتاب التفسير ، باب ومن سورة براءة ٢٧٨/٥ . وإسناده حسن . انظر : تخريج الأرنؤوط لأحاديث فتح المجيد ، ص (١١٢) .

مُشْرِكًا مِثْلَ هَؤُلَاءِ .

وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ ثَابِتًا لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ ؛ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ)[1] .

هـ- شرك الذبح ؛ وهو الذبح لغير الله تعالى ؛ تقربا له ؛ سواء أهل باسم المخلوق أو لم يهل ؛ كالذبح للأوثان ، أو المشاهد ، أو الكواكب ، أو الجن ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ ، وقال : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ الكوثر: ٢ ؛ أي اجعل صلاتك ونحرك لله وحده ؛ فمن ذبح لغير الله فقد أشرك ، كما أن من صلى لغير الله فقد أشرك . والسحرة من أكثر الناس فعلا وأمرا بهذا الشرك ؛ فإذا أرادوا استخدام الجن في أعمالهم القبيحة ؛ كالصرف والعطف والنشرة والأخذة تقربوا لأوليائهم من الجن بعبادة الذبح ، وأمروا بذلك من يقصدهم من الناس ؛ وربما تقرب الساحر لشيطانه مع ذلك بركوع وسجود وإهانة للقرآن الكريم ، فيطيعه وليه من الجن في الإفساد في الأرض ؛ لهذا وغيره كان السحر الحقيقي كفرا بنص القرآن[2] ؛ قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ البقرة: ١٠٢ .

معنى البدعة وأهم آثارها

البدعة اسم جامع لكل أمر قولي أو عملي أحدث في الدين دون أن يكون له أصل من نصوص الشرع أو قواعده ؛ قال ابن رجب : (المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٧٠ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص (٥٤٣-٥٥٤) .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص (١٨٧ – ١٩٦ ، ٤١٦-٤٢٠) ، مقاصد كتاب التوحيد ، ص (١٧٦-١٨١ ، ٢٥٤-٢٥٨ ، ٢٦٨) .

بدعة لغة ... ؛ فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة ، والدين بريء منه ، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات ، أو الأعمال ، أو الأقوال ، الظاهرة والباطنة)[١] .

والبدعة ليست مرتبة مستقلة من مراتب الذنوب ، وإنما هي داخلة في مراتبها المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾الحجرات: ٧ ، لأن البدعة قد تكون صغيرة ، وقد تكون كبيرة ، وقد تكون كفرا ؛ ولهذا قسم أهل العلم البدعة إلى مكفرة وغير مكفرة ، وذكروا أن غير المكفرة قد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة ؛ يقول الشاطبي : (المحرم ينقسم في الشرع إلى ماهو صغيرة وإلى ماهو كبيرة .. فكذلك يقال في البدع المحرمة : إنها تنقسم إلى الصغيرة والكبيرة ؛ اعتبارا بتفاوت درجاتها)[٢] . والبدع الكلية في الصفات وغيرها أشد خطورة من غيرها ؛ قال ابن القيم : (لما كانت هذه البدع المضلة جهلا بصفات الله ، وتكذيبا بما أخبر به عن نفسه ، وأخبر به عنه رسوله ؛ عنادا وجهلا كانت من أكبر الكبائر إن قصرت عن الكفر)[٣] .

وعلى هذا فالبدعة إما كفر أو ذنب كبير أو صغير ، ولكن وصف الذنب بالبدعة يزيده قبحا إلى قبحه ، ويدل على أنه أخطر من الذنب المجرد من جهات كثيرة ؛ ذكر ابن القيم بعضها بقوله : (معلوم أن المذنب إنما ضرره على نفسه وأما المبتدع فضرره على النوع .

وفتنة المبتدع فى أصل الدين ، وفتنة المذنب فى الشهوة .

والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه ، والمذنب ليس كذلك .

والمبتدع قادح فى أوصاف الرب وكماله ، والمذنب ليس كذلك .

والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول ﷺ ، والعاصي ليس كذلك .

والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة ، والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه !)[٤] .

ومما يدل على خطورة البدعة أيضا الأمور التالية :-

---

(١) جامع العلوم والحكم ، ص (٢٥٢) .

(٢) الاعتصام ، ص (٥٧) .

(٣) الجواب الكافي ، ص (١٠٠) .

(٤) الجواب الكافي ، ص (١٠١) .

١- دلالة البدعة ؛ فالبدعة تتضمن القدح في كمال الدين ، لأن المبتدع يقول بلسان الحال أو القال : إن الشريعة لم تتم ، وإنه بقي أشياء يجب استدراكها ، وإلا فلو كان معتقدا لكمالها من كل وجه لم يبتدع ما يعتقده كمالا في عباداته أو معاملاته ؛ قال الإمام مالك : (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة: ٣ ، فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا)[١] .

٢- مآل البدعة ؛ فالبدع مبادئ الكفر ومظانه ، وكثيرا ما تفضي بأهلها إلى الشرك الأكبر[٢] ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق) أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ؛ أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)[٣] ؛ قال ابن تيمية : (البدع كلها ضلالة ، وما عبدت الأوثان إلا بالبدع)[٤] .

٣- أثرها على إيمان المبتدع ؛ فالمبتدع قد يحال بينه وبين التوبة ؛ إما عقابا قدريا على بدعته ، وإما لأنه يزين له سوء عمله فيراه حسنا ، فلا يفكر في الإقلاع عنه ؛ روى الطبراني بإسناده عن أنس ﷺ مرفوعا : (إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة)[٥] ؛ ولهذا قال سفيان الثوري : (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ؛ والمعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها)[٦] .

٤- أثر البدعة على عمل المبتدع ؛ فالقول أو العمل المبتدع مردود على صاحبه ؛ لأن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصا لله صوابا على السنة ؛ قال تعالى :﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ

---

(١) الاعتصام ٤٩/١ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٥٦٥/١٠ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، سورة نوح ، ح (٤٩٢٠) .

(٤) مجموع الفتاوى ٦١١/٢٨ .

(٥) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن هارون الفروي ، وهو ثقة . مجمع الزوائد ١٨٩/١٠ . وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٤/٤ ، ١٥٥ .

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم اللالكائي ١٣٢/١ .

عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ ، وقال رسول الله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[١] ، وفي رواية : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[٢] ؛ يقول النووي : (هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه ﷺ ؛ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات ، وفي الرواية الثانية زيادة ؛ وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها ، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول : أنا ما أحدثت شيئا ، فيحتج عليه بالثانية ؛ التي فيها التصريح برد كل المحدثات ؛ سواء أحدثها الفاعل ، أو سبق بإحداثها)[٣] . وقد تؤثر البدعة على عمل المبتدع كله ، وبخاصة إذا عظمت ، أو كانت من البدع الكلية ؛ روى البخاري بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعا : (المدينةُ حَرَمٌ ، ما بين عائرٍ إلى كذا ، مَن أحدثَ فيها حدثًا ، أو آوى مُحدِثًا ، فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائِكةِ والنَّاسِ أجمعينَ ، لا يُقْبَلُ منهُ صَرفٌ ولا عَدلٌ)[٤] ؛ والصرف هو الفرض ، والعدل هو النفل[٥] ؛ وقال وقال ابن عمر رضي الله عنهما في القدرية الأولى : (فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني . والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)[٦] ، وقال الأوزاعي : (كان بعض أهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صياما ولا جهادا ولا حجا ولا عمرة ولا صرفا ولا عدلا)[٧] . وقد ذكر الشاطبي لهذه النصوص ونظائرها عدة محامل ؛ كحملها على البدع المكفرة ، أو البدع في الأصول التي تبنى عليها الأعمال[٨] ، ويمكن أن تحمل على عمومها ، ويكون المراد بنفي القبول نفي قبول الصحة في البدع المكفرة ، ونفي قبول الرضا أو الثواب في البـــــدع

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٩٥٩/٢ .
(٢) صحيح مسلم : كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ١٣٤٤/٣ .
(٣) شرح صحيح مسلم ١٦/١٢ .
(٤) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة ، باب حرم المدينة ٦٦٢/٢ .
(٥) انظر : شرح السنة للبغوي ٣١٠/٧ ، فتح الباري لابن حجر ٨٦/٤ .
(٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان ٣٦/١ ، ٣٧ .
(٧) الاعتصام ١٠٧/١ .
(٨) انظر : الاعتصام ١/ ١٠٨- ١١٢ .

غير المكفرة ، والله أعلم .

٥- عموم الذم ؛ فالشرع عمم في ذم البدع وأطلق دون تخصيص أو تقييد ؛ لشده خطرها وقبحها وقبح آثارها ؛ روى أبو داود وغيره بسنده عن العرباض بن سارية ﷺ قال : (صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ؛ ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ! كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)[1] ؛ وهذا العموم يدل على قبح البدع وتحريمها كلها دون استثناء ؛ وقد ذكر الشاطبي أن هذا الحديث ونظائره حجة على عموم الذم من أوجه :

أحدها : أنها جاءت مطلقة عامة على كثرتها ، لم يقع فيها استثناء ألبتة ، ولم يأت فيها ما يقتضي أن منها ما هو هدى ، ولا جاء فيها كل بدعة ضلالة إلا كذا وكذا ، ولا شيء من هذه المعاني ، فلو كان هنالك محدثة يقتضي النظر الشرعي فيها الاستحسان ، أو أنها لاحقة بالمشروعات لذكر ذلك في آية أو حديث ، لكنه لا يوجد ، فدل على أن تلك الأدلة بأسرها على حقيقة ظاهرها من الكلية ، التي لا يتخلف عن مقتضاها فرد من الأفراد .

والثاني : أنه قد ثبت في الأصول العلمية أن كل قاعدة كلية ، أو دليل شرعي كلي إذا تكررت في مواضع كثيرة ، وأتى بها شواهد على معان أصولية أو فروعية ، ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص ، مع تكررها ، وإعادة تقررها ، فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها من العموم ، فما نحن بصدده من هذا القبيل ؛ إذ جاء في الأحاديث المتعددة والمتكررة في أوقات شتى ، وبحسب الأحوال المختلفة أن كل بدعة ضلالة ، وأن كل محدثة بدعة . وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على أن البدع مذمومة ، ولم يأت في آية ولا حديث تقييد ولا تخصيص ولا ما يفهم منه خلاف ظاهر الكلية فيها ؛ فدل ذلك دلالة واضحة على أنها على

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، ح (٤٥٨٣) ، إسناده جيد . انظر : جامع العلوم والحكم ، ص (٢٤٣ ، ٢٤٤) ، ظلال الجنة في تخريج السنة ، للألباني ٢٩/١ .

عمومها وإطلاقها .

والثالث : إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك ، وتقبيحها والهروب عنها ، وعمن اتسم بشيء منها ، ولم يقع منهم في ذلك توقف ، ولا مثنوية ؛ فهو بحسب الاستقراء إجماع ثابت ، فدل على أن كل بدعة ليست بحق ، بل هي من الباطل .

والرابع : أن متعقل البدعة يقتضي ذلك بنفسه ، لأنه من باب مضادة الشارع ، و اطراح الشرع ، وكل ما كان بهذه المثابة فمحال أن ينقسم إلى حسن وقبيح ، وأن يكون منه ما يمدح ومنه ما يذم ؛ إذ لا يصح في معقول ولا منقول استحسان مشاقة الشارع . وأيضاً فلو فرض أنه جاء في النقل استحسان بعض البدع ، أو استثناء بعضها عن الذم لم يتصور ؛ لأن البدعة طريقة تضاهي المشروعة من غير أن تكون كذلك ، وكون الشارع يستحسنها دليل على مشروعيتها ؛ إذ لو قال الشارع : المحدثة الفلانية حسنة ، لصارت مشروعة)[1] .

عقوبات الذنوب القدرية .

الذنوب سبب لثلاثة أنواع من العقوبات :-

الأول : العقوبات الشرعية ؛ وهي إما حد ، أو تعزير ، أو كفارة . وهذا النوع هو أخف العقوبات ، ومن رحمة الله تعالى أن هذه العقوبة إذا وقعت منعت غيرها من العقوبات ؛ لأن العقوبات الشرعية زواجر وجوابر على الصحيح من قولي العلماء ، روى مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ : تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ؛ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ)[2] ؛ قال النووي : (هذا الحديث عام مخصوص ، وموضع التخصيص قوله ﷺ : وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ؛ المراد به ما سوى الشرك ، وإلا فالشرك لا يغفرله ، وتكون

---

(١) الاعتصام ١/١٤١ ، ١٤٢ (باختصار يسير) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحدود ، باب الحدود كفارة ، ٣/١٣٣٣ .

عقوبته كفارة له)[١] .

الثاني : العقوبات الأخروية ؛ وهي إما في البرزخ ، أو في الموقف ، أو في النار ، وهي أعظم عقوبات الذنوب على الإطلاق ؛ ولهذا كثر ذكرها في النصوص ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ ﴾ الحج: ١٩ – ٢١ ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ ﴾ الزخرف: ٧٤ - ٧٥ ، وقوله : ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣ ﴾ النساء: ٩٣ .

الثالث : العقوبات القدرية ؛ وهي التي سنفصل القول فيها قليلا في هذا الموضع ؛ لأن محل تفصيل العقوبات الشرعية في كتب الفقه ، ومحل تفصيل العقوبات الأخروية في مباحث المعاد . ولكن قبل الشروع في ذكر بعض العقوبات القدرية أنبه إلى ثلاثة أمور مهمة تتعلق بهذه العقوبات :-

١- أن العقوبات القدرية قد تكون عامة ولا تختص بالعاصي ، كما في غيرها من العقوبات ؛ وبخاصة إذا أعلنت المعصية ، وترك الناس الإنكار على أهلها مع القدرة على ذلك ؛ يقول ابن القيم : (الرب تبارك وتعالى لا يعاقب شرعا إلا من باشر الجناية ، أو تسبب إليها ، وأما العقوبة القدرية فإنها تقع عامة وخاصة ؛ فإن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، وإذا أعلنت ضرت الخاصة والعامة ، وإذا رأي الناس المنكر فاشتركوا في ترك إنكاره أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه)[٢] .

٢- أن العقوبات القدرية قد تتسع حتى تشمل الحيوان ، ويظهر أثرها في البر والبحر ؛ قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ ﴾ الروم: ٤١ ؛ قال أبو هريرة ﷺ : إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم ! وقال مجاهد : إن البهائم تلعن عصاة بنى آدم إذا أشتدت السنة ، وأمسك المطر ، وتقول : هذا بشؤم معصية ابن ادم ! وقال عكرمة : دواب الأرض وهوامها ، حتي الخنافس والعقارب يقولون : منعنا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٣/١١ .

(٢) الجواب الكافي ، ص (٧٧) .

القطر بذنوب بني آدم[١] ! ولهذا إذا طهرت الأرض من أهل الفساد في آخر الزمان قيل للأرض : (أَنبِتي ثمرَك ، ورُدِّي بركتَك ، فيومئذٍ تأكل العصابةُ من الرُّمَّانةِ ، ويستظِلُّون بقِحْفِها ، ويبارك في الرَّسْلِ ، حتى انَّ اللقحةَ من الإبلِ لتكفي الفِئامَ من الناس ، واللَّقحةُ من البقرِ لتكفي القبيلةَ من الناس ، والّلقحةُ من الغنمِ لتكفي الفَخِذَ من الناس)[٢] .

٣- أن العقوبات القدرية قد تتأخر عن الذنب حتى يظن أنها لن تقع ؛ قال ابن القيم : (ها هنا نكتة دقيقة ، يغلط فيها الناس في أمر الذنب ؛ وهي أنهم لا يرون تأثيره في الحال ، وقد يتأخر تأثيره فينسي ، ويظن العبد إنه لا يغبر بعد ذلك ، وان الأمر كما قال القائل :

إذا لم يغبر حائط في وقوعه ... فليس له بعد الوقوع غبار

وسبحان الله ماذا أهلكت هذه النكتة من الخلق ، وكم أزالت من نعمة ، وكم جلبت من نقمة ، وما أكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء ، فضلا عن الجهال ، ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقض ولو بعد حين ، كما ينقض السهم ، وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدغـــــل !)[٣] .

س/ اذكر أهم عقوبات الذنوب القدرية ، مع الاستدلال لما تذكر ؟

ج/ العقوبات القدرية كثيرة جدا[٤] ؛ منهـــا :-

١- حرمان الرزق ؛ روى ابن ماجة بسنده عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا)[٥] ، ويشهد لمعناه مفهوم قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾الطلاق: ٢-٣ ؛ قال ابن القيم : (تقوى الله مجلبة للرزق ؛ فترك التقوى مجلبة للفقر ؛ فما استجلب رزق

(١) نقلا عن الجواب الكافي ، ص (٣٨) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن ، ح (٢٩٣٧) .

(٣) الجواب الكافي ، ص (٣٤) .

(٤) بلغ بها ابن القيم نحوا من خمسين عقوبة !! انظر : الجواب الكافي ، ص (٣٤-٧٦) .

(٥) سنن ابن ماجة : المقدمة ، ح (٩٠) . قال البوصيري : سألت شيخنا أبا الفضل العراقي رحمه الله عن هذا الحـديث ؟ فقال : هذا حديث حسن . مصباح الزجاجة ٦١/١ ، ح (٣٤) .

الله بمثل ترك المعاصي)[١] .

٢- وقوع الفتن ، وافتراق الكلمة ؛ قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣ ، وقال : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المائدة: ١٤ ؛ قال ابن تيمية : (فأخبر أن نسيانهم حظا مما ذكروا به ؛ وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به كان سببا لإغراء العداوة والبغضاء بينهم ، وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا ... فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين ، والعمل به كله)[٢] .

٣- حلول المصائب المتنوعة ؛ إما بزوال النعم ، أو حلول النقم ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الشورى: ٣٠ ، وروى ابن ماجه بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : (أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)[٣] ؛ قال ابن القيم : (إذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها ، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها ، ومن العجب علم العبد بذلك ؛ مشاهدة في نفسه وغيره ، وسماعا لما غاب عنه من أخبار من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه ، وهو مقيم على معصية الله ، كأنه مستثني من هذه الجملة ، أو مخصوص من هذا العموم ، وكأن هذا أمر جار على الناس لا عليه ، وواصل إلى الخلق لا

---

(١) الجواب الكافي ، ص (٣٥) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١/١٤-١٧ .

(٣) سنن ابن ماجة : كتاب الفتن ، ح (٤٠١٩) . إسناده حسن . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (١٠٦) .

إليه ! فأي جهل أبلغ من هذا ، وأي ظلم للنفس فوق هذا ؟! فالحكم لله العلى الكبير)[١] .

٤- الذل ؛ قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٩ - ١٠ ؛ يقول ابن القيم : (المعنى قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها ، وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله ... فما صغر النفس مثل معصية الله ، وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله)[٢] . ومما يدل على أن المعصية تورث أهلها الذل والهوان مفهوم قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾فاطر: ١٠ ؛ أي فليطلبها في طاعة الله ؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعته . ومنطوق قوله ﷺ : (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا ، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)[٣]، وقوله ﷺ : (بعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم)[٤] .

٥- اجتراء المخلوقات على العاصي ؛ لأن الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى الذي من دخله كان آمنا ؛ فمن فارق حصن التقوى ، ونسي ربه تبارك وتعالى ، عاقبه الله بنسيانه وإهماله والتخلية بينه وبين نفسه وشيطانه ، قال تعالى : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾التوبة: ٦٧ ؛ قال ابن القيم : (نسيانه سبحانه للعبد إهماله وتركه ، وتخليه عنه وإضاعته ونسيانه ؛ فالهلاك أدنى إليه من اليد للفم)[٥] . وإذا نسي الرب عبده ، ورفع عنه حفظه اجترأت عليه أصناف المخلوقات بحسب اجترائه على معصية الله ؛ فتجترئ عليه شياطين الإنس بالأذى ، ويجترئ عليه أهله وولده وخدمه ومن حوله ، وتجترئ عليه شياطين الجن بالوسوسة والإغواء والتغرير والتخويف حتى تتسلط على قلبه ؛ فتؤزه إلى المعصية أزا ، وتصده عن الطاعة صدا ؛ قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريم: ٨٣ ، وقال : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا

---

(١) الجواب الكافي ، ص (٧٣ ، ٧٤) .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الإجارة ، ح (٣٤٦٢) إسناده صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٤٢٣) .

(٣) الجواب الكافي ، ص (٥٢ ، ٥٣) .

(٤) مسند الإمام أحمد : مسند المكثرين ، ح (٥٠٩٣) . إسناده صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٢٨٣١) .

(٥) الجواب الكافي ، ص (٧٢) .

﴿ فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦ – ٣٧ ؛ وأخطر ما يكون من اجتراء الشياطين اجتراؤها على العاصي في سكرات الموت ، حتى تحول بينه وبين الشهادة ؛ عياذا بالله ! قال ابن القيم : (ثم أمر أخوف .. و أدهي وأمر ؛ وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار ، والانتقال إلى الله تعالى ، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة ، كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين ، أصابهم ذلك ، حتى قيل لبعضهم : قل لا إله إلا الله ! فقال : آه آه ، لا أستطيع أن أقولها . وقيل لآخر : قل لا إله إلا الله ! فقال شاه رخ غلبتك ، ثم قضى . وقيل لآخر قل : لا إله إلا الله ! فقال :

يا رب قائلة يوما وقد تعبت ... أين الطريق إلى حمام منجاب

ثم قضى . وقيل لآخر : قل لا إله إلا الله ! فجعل يهذي بالغناء ، ويقول : تاتا تنتنا ! فقال : وما ينفعني ما تقول ، ولم أدع معصية إلا ركبتها ! ثم قضى ، ولم يقلها . وقيل لآخر : ذلك فقال : وما يغني عني ، وما أعلم أني صليت لله تعالى صلاة ؟ ! ثم قضى ، ولم يقلها . وقيل لآخر : ذلك ، فقال : هو كافر بما تقول ! وقضي . وقيل لآخر : ذلك ، فقال : كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها ! وأخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته ، فجعل يقول : لله فليس ، لله فليس ، حتى قضي ! وأخبرني بعض التجار عن قرابة له : أنه احتضر وهو عنده فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله ، وهو يقول هذه القطعة رخيصة ، هذا مشتري جيد ، هذه كذا حتى قضي ! وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا ، والذي يخفي عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم ! وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته ، وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان ، واستعمله بما يريده من المعاصي ، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى ، وعطل لسانه من ذكره ، وجوارحه عن طاعته ، فكيف الظن به عند سقوطه قواه ، واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع ، وجمع الشيطان له كل قوته وهمته ، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه ؛ لينال منه فرصته ؛ فإن ذلك آخر العمل ، فأقوي ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت ، وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة !)[1] .

٦– إغفال العبد عن الحظوظ العالية ، والتجارة الرابحة ، والسعادة الخالدة ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَا

(١) الجواب الكافي ، ص (٦٢) .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الحشر: ١٩ ؛ قال ابن القيم : (أخبر أنه عاقب من ترك التقوي بأن أنساه نفسه ؛ أي أنساه مصالحها وما ينجيها من عذابه ، وما يوجب له الحياة الأبدية ، وكمال لذتها وسرورها ونعيمها ، فأنساه الله ذلك كله ؛ جزاء لما نسيه من عظمته وخوفه والقيام بأمره ؛ فترى العاصي مهملا لمصالح نفسه ، مضيعا لها قد أغفل الله قلبه عن ذكره ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا ؛ قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته ، وقد فرط في سعادته الأبدية ، واستبدل بها أدني ما يكون من لذة إنما هي سحابة صيف أو خيال طيف)[1] . ويزيد ابن القيم معنى عقوبة إنساء النفس وضوحا فيقول : (أما إنساؤه نفسه فهو إنساؤه لحظوظها العالية ، وأسباب سعادتها وفلاحها ، وإصلاحها وما يكملها ينسيه ذلك كله جميعه ؛ فلا يخطر بباله ، ولا يجعله على ذكره ، ولا يصرف إليه همته ، فيرغب فيه فإنه لا يمر بباله حتى يقصده ويؤثره !

وأيضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها ؛ فلا يخطر بباله إزالتها وإصلاحها !

وأيضا فينسيه أمراض نفسه وقلبه وآلامها ؛ فلا يخطر بقلبه مداواتها ، ولا السعي في إزالة عللها وأمراضها ، التي تؤول بها إلى الفساد والهلاك ؛ فهو مريض مثخن بالمرض ، ومرضه مترام به إلى التلف ، ولا يشعر بمرضه ، ولا يخطر بباله مداواته ! وهذا من أعظم العقوبة للعامة والخاصة ، فأي عقوبة أعظم من عقوبة من أهمل نفسه وضيعها ، ونسي مصالحها وداءها ودواءها ، وأسباب سعادتها وصلاحها وفلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم !!)[2] .

٧- رد الدعاء ؛ روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَقَالَ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ،

---

(١) الجواب الكافي ، ص (٤٧) .

(٢) الجواب الكافي ، ص (٧٢) .

فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ !)[١] ، وروى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : (دخل رسول الله ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حفزه شيء ؛ فتوضأ ثم خرج فلم يكلم أحدا ، فدنوت من الحجرات فسمعته يقول : يا أيها الناس إن الله عز وجل يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم)[٢] .

٨- تعسير الأمور ؛ فلا يتوجه لأمر إلا وجده مغلقا دونه ، أو متعسرا عليه ، لأن الله تعالى رتب تيسير المصالح على التقوى ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ﴾ الطلاق: ٤ ؛ فمن أهمل سبب التيسير ، وعطل التقوى جعل الله له من أمره عسرا ! وربما تعسرت عليه التوبة ؛ لأن العاصي إذا طال إلفه للمعصية صارت هيئة راسخة قد يتعذر عليه الخروج منها ؛ قال ابن القيم : (المعاصي تزرع أمثالها ، وتولد بعضها بعضا ، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها ، كما قال بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ؛ فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جنبها : اعملني أيضا ، فإذا عملها قالت الثانية : كذلك ، وهلم جرا ، فيتضاعف الربح ، وتزايدت الحسنات ، وكذلك كانت السيئات أيضا ، حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة ، وصفات لازمة وملكات ثابتة ، فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وأحس من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء ، حتى يعاودها ، فتسكن نفسه ، وتقر عينه . ولو عطل المجرم المعصية ، وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه ، وضاق صدره ، وأعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها ، حتى إن كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ، ولا داعية إليها إلا لما يجد من الألم بمفارقتها !

ولا يزال العبد يعاني الطاعة ، ويألفها ، ويحبها ، ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تؤزه إليها أزا ، وتحرضه عليها ، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها . ولا يزال يألف

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، ح (١٦٨٦) .

(٢) مسند الإمام أحمد : مسند المكثرين ، ح (٢٤٧٢٧) . الحديث حسن لغيره . صحيح الترغيب والترهيب ، ح (٢٣٢٥) .

المعاصي ويحبها ويؤثرها ، حتى يرسل الله إليه الشياطين فتؤزه إليها أزا . فالأول قوى جند الطاعة بالمدد ، فكانوا أكثر أعوانه ، وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا أعوانا عليه !)[١] .

٩- تقصير العمر ، ومحق بركته ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ٩٦ ، وقال : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الجن: ١٦ ؛ وقال ﷺ : (لا يزيد في العمر إلا البر)[٢] ؛ فالطاعة سبب زيادة العمر ، وحصول البركة ؛ والمعصية سبب نقص العمر ، ومحق البركة ؛ قال ابن القيم : (من عقوباتها أنها تمحق بركة العمر ، وبركة الرزق ، وبركة العلم ، وبركة العمل وبركة الطاعة ، وبالجملة أنها تمحق بركة الدين والدنيا ؛ فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله ، وما محقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق)[٣] .

١٠- ضنك المعيشة ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤ ؛ فالمعرض عن الله له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه ، وإن تنعم بأصناف النعم إلا أن وحشة المعصية وذلها وحسراتها في قرارة قلبه ! قال ابن القيم : (هذه الوحشة قد تقوى حتى تستحكم ؛ فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه ، وبينه وبين نفسه ؛ فتراه مستوحشا من نفسه ! قال : بعض السلف إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي)[٤] .

١١- الطبع على القلب ؛ فالذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين ؛ قال تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المطففين: ١٤ ؛ يفسره ما رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن

---

(١) الجواب الكافي ، ص (٣٦ ، ٣٧) . باختصار يسير .

(٢) سنن ابن ماجة : المقدمة ، ح (٩٠) . وهو حديث حسن . مصباح الزجاجة ٦١/١ ، ح (٣٤) .

(٣) الجواب الكافي ، ص (٥٦) .

(٤) الجواب الكافي ، ص (٣٥) ، بتصرف يسير .

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)[١] . ولبعض الذنوب تأثير قوي في إفساد القلب ؛ روى مسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا : (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين)[٢] ، وروى أبو داود وغيره عن أبي الجعد الضمري ﷺ مرفوعا : (من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه)[٣] ، وروى الحاكم بسنده عن كعب بن مالك ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة كانت نكتة سوداء في قلبه ، لا يغيرها شيء إلى يوم القيامة)[٤] ؛ فالذنب داء القلب ، وسلامته لا تتم (مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء ؛ من شرك يناقض التوحيد ، وبدعة تخالف السنة ، وشهوة تخالف الأمر ، وغفلة تناقض الذكر ، وهوى يناقض التجريد ، والإخلاص يعم . وهذه الخمسة حجب عن الله ، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة)[٥] .

١٢- الحرمان من ثمرات الإيمان ؛ فالكبائر وإن كانت لا تخرج أهلها من دائرة الإسلام إلا أنها تخرجهم من دائرة الإيمان ؛ وحينئذ يفوتهم (كل خير رتبه الله في كتابه على الإيمان ؛ وهو نحو مائة خصلة ؛ كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها !

فمنها الأجر العظيم (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما) .

ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) .

ومنها استغفار حملة العرش لهم (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا) .

ومنها موالاة الله لهم ، ولايذل من والاه الله ! قال الله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، باقي مسند المكثرين ، ح (٧٨٩٢) . إسناده حسن . انظر : صحيح الترغيب والترهيب ، ح (٣١٤١) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجمعة ، ح (١٤٣٢) .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، ح (١٠٥٢) إسناده صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٦١٤٣) .

(٤) المستدرك على الصحيحين ، ح (٧٨٠٠) . إسناده صحيح لغيره . انظر : صحيح الترغيب والترهيب ، ح (١٨٣٨) .

(٥) الجواب الكافي ، ص (٨٤ ، ٨٥) .

ومنها أمره ملائكته بتثبيتهم (إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) .

ومنها أن لهم الدرجات عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم .

ومنها العزة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

ومنها معية الله لأهل الإيمان (وإن الله لمع المؤمنين) .

ومنها الرفعة في الدنيا والآخرة (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) .

ومنها أعطاهم كفلين من رحمته ، وأعطاهم نورا يمشون به ، ومغفرة ذنوبهم .

ومنها الود الذي يجعله سبحانه لهم ؛ وهو أنه يحبهم ويحببهم إلى ملائكته وأنبيائه وعباده الصالحين .

ومنها أمانهم من الخوف يوم يشتد الخوف (فمن آمن وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

ومنها أنهم المنعم عليهم ؛ الذين أمرنا أن نسأله أن يهدينا إلى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة !

ومنها أن القرآن إنما هو هدى لهم وشفاء (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) .

والمقصود أن الإيمان سبب جالب لكل خير ، وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان فكيف يهون على العبد أن يرتكب شيئا يخرجه من دائرة الإيمان !)[1] .

١٣- حلول المثلات ؛ وهي العقوبات العظيمة التي تعم كثيرا من الخلق ؛ كالحصب والخسف والمسخ ؛ قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٠ ، وقال ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل ! فيقال : من بقي من بني فلان ؟!)[2] ، وقال ﷺ : (ليشربن ناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة

---

(١) الجواب الكافي ، ص (٤٨) .

(٢) رواه أحمد بسند صحيح . انظر : المسند ٤٨٣/٣ ، فتح الباري ٢٩٢/٨ .

والخنازير)[١] ؛ قال ابن القيـــــم : (تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة ، وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء وشاربي الخمور)[٢] .

****

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الفتن ، ح (٤٠٢٠) . قال ابن القيم : إسناده صحيح . انظر : إغاثة اللهفان ٣٨٢/١ .
(٢) إغاثة اللهفان ٣٩٠/١ .

مراجع الكتاب

- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .
- إرشاد الفحول ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ببيروت .
- الاستقامة ، لابن تيمية ، تحقيق / محمد رشاد ، الطبعة الثانية .
- أصول الدين ، لعبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الاعتصام ، لإبراهيم بن موسى الشاطبي . مكتبة الرِّياض ، عناية مُحَمَّد رشيد رضا
- الاعتقاد ، للحافظ البيهقي ، دار الكتب بلبنان ، الطبعة الأولى .
- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ، لمحمد الطوسي ، دار الأضواء .
- الإلهيات ، لجعفر السبحاني ، إعداد حسن العاملي ، الدار الإسلامية .
- إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى .
- الإيمان ومعالمه ، للقاسم بن سلام ، تحقيق / الألباني .
- تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير القرشي . مكتبة دار التراث بالقاهرة ، مطابع المختار الإسلامي .
- تفسير الطبري ، لابن جرير ، دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ .
- تفسير القرطبي ، تصحيح أحمد البردوني ، الطبعة الثانية .
- التنبيه والرد على أهل الأهواء ، لمحمد الملطي ، مكتبة المعارف ببيروت ، ١٣٨٨ هـ .
- التنصير ، مفهومه وأهدافه ، للدكتور / علي النملة ، طبعة ١٤١٣ هـ .
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ، دار الكتاب العربي ، مطابع سجل العرب .
- تيسير العزيز الحميد ، لسليمان آل الشيخ ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة .
- جامع العلوم والحكم ، لعبد الرّحمن بن أحمد بن رجب . دار المعرفة ، بيروت .
- الجواب الكافي ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الحق الدامغ ، لأحمد الخليلي ، مطابع النهضة بمسقط .
- درء تعارض العقل والنّقل ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق د/ محمَّد رشاد سالم . مطابع جامعة الإمام محمَّد بن سعود ، الرياض ، الطّبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .
- الرسالة التدمرية ، لابن تيمية ، تحقيق د/ محمد السعوي ، الطبعة الأولى .
- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيتمي ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية .
- سلسلة الأحاديث الصّحيحة ، لمحمّد ناصر الدِّين الألباني . الطبعة الثّانية ١٤٠٧ هـ ، مكتبة المعارف بالرّياض .
- السنّة ، للحافظ أبي بكر بن أبي عاصم الشيباني ، تخريج محمَّد ناصر الدِّين الألباني . الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ، المكتب الإسلامي .
- شرح الأصبهانية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د/ محمد السعوي ، دار المنهاج ، الطبعة الأولى .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم اللالكائي ، دار طيبة ، الرياض .

- شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار الهمداني ، تحقيق / عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى .
- شرح الرسالة التدمرية ، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك ، دار كنوز إشبيليا ، الطبعة الأولى .
- شرح صحيح مسلم ، للحافظ يحي بن شرف النّووي . دار الكتب العلميّة ببيروت .
- شرح العقيدة الطحاوية ، لعليّ بن عليّ بن أبي العزّ الحنفي ، تحقيق وتخريج / محمد الألباني .
- شرح المقاصد ، لسعد الدين التفتازاني ، عالم الكتب ببيروت ، الطبعة الأولى .
- شرح المواقف ، لعلي الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى .
- الصارم المسلول ،لابن تيمية ، تحقيق / محمد محيي الدين ، طبعة ١٤٠٣ هـ .
- الصحاح ، للجوهري ، تحقيق / أحمد عطار ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .
- صحيح الجامع الصّغير وزيادته ، لمحمّد ناصر الدِّين الألباني . الطبعة الثّانية ١٤٠٦ هـ ، المكتب الإسلاميّ .
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، للألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية .
- طريق الهجرتين ، لابن القيم ، تحقيق / محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، الطبعة الثالثة .
- عدة الصابرين ، لابن القيم ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ ، للحافظ / أحمد بن عليّ بن حجر ، ترقيم / محمَّد فؤاد عبد الباقي ، وتحقيق الشّيخ / عبد العزيز بن باز . دار المعرفة ببيروت .
- الفرق بين الفرق ، لعبد القادر البغدادي ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، دار الجيل ، بيروت .
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، الدار التونسية للنشر .
- القول السّديد في مقاصد التوحيد ، لعبد الرّحمن بن ناصر السّعدي . الرئاسة العامّة للبحوث بالرّياض ١٤٠٤ هـ .
- كتب الألباني في الموسوعة الشاملة (http://www.islamport.com/) .
- كلمة الإخلاص ، لابن رجب ، دار الصحابة ، الطبعة الأولى .
- لوامع الأنوار ، لمحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية .
- مجمع الزوائد ، للحافظ الهيثمي ، مؤسسة المعارف ، طبعة ١٤٠٦ هـ .
- مجموعة التوحيد ، شركة العبيكان بالرياض .
- المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ، جمع فهد السليمان ، دار الوطن ، الطبعة الأولى .
- مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، جمع وترتيب عبد الرّحمن بن محمَّد بن قاسم . مطبعة المساحة العسكريّة بالقاهرة ١٤٠٤ هـ .
- المحصل ، للفخر الرازي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى .
- مدارج السّالكين ، للإمام ابن قيّم الجوزيّة ، تحقيق محمَّد الفقي . دار الرشاد بالمغرب
- مذاهب فكرية معاصرة ، لمحمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الأولى .
- المسامرة شرح المسايرة ، للكمال بن أبي شريف ، مطبعة بولاق ، ١٣١٧ .
- مشارق أنوار العقول ، لعبد الله السالمي ، مكتبة الاستقامة ، الطبعة الثانية .

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ، لأحمد البوصيري ، دار الكتب الإسلامية بمصر .
- مصباح الظلام ، لعبد اللطيف آل الشيخ ، شركة العبيكان للطباعة والنشر .
- المغني ، لابن قدامة ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- مفتاح دار السّعادة ، للإمام ابن القيّم . دار الكتب العلميّة بلبنان .
- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت .
- مقاصد كتاب التوحيد ، لعيسى السعدي ، دار الأوراق الثقافية ، الطبعة الأولى .
- مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري ، دار إحياء التراث ، الطبعة الثالثة .
- الملل والنحل ، لمحمد الشهرستاني ، تحقيق محمد الكيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
- منهاج السنّة النّبويّة ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق محمَّد رشاد سالم . الطّبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .
- النبوّات ، للإمام تقيّ الدِّين ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق الدّكتور / عبد العزيز الطويان . أضواء السّلف ، الطّبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
- النّهاية ، للحافظ ابن كثير ، تحقيق / نجم الكردي .
- النهج السديد ، لجاسم الدوسري ، دار الخلفاء بالكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ .
- الوعد الأخروي ، لعيسى عبد اللّه السّعدي . دار عالم الفوائد بمكّة ، الطّبعةالأولى ، ١٤٢٢ هـ .

****

موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
معنى الإيمان	٢
فضائل الإيمان وآثاره	٣
معنى الصغيرة وأهم أحكامها	٦
معنى الكبيرة وأهم آثارها	٧
مذهب الوعيدية	٨
مذهب المرجئة	١٤
مذهب السلف	١٧
معنى الكفر وأنواعه	١٩
معنى النفاق وأنواعه	٢٤
معنى الشرك وأنواعه	٢٨
معنى البدعة وأهم آثارها	٣٢
عقوبات الذنوب القدرية	٣٧
مراجع الكتاب	٤٩
موضوعات الكتاب	٥٢